ظواهر لغوية في بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة للتستري

أ.م.د. مرتضى عباس فالح

كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة البصرة

الباحثة بتول طالب كاظم

مقدمة:

الحمدُ لله على نعمه كلّها، والصلاةُ والسلامُ على النبيِّ المصطفى وآلهِ الطاهرينَ، أصبح من المعروف أنَّ الظواهر اللغوية لها من الوجود والسمات ما يجعلُها من أهمِّ خصائص اللغة العربية .

وهذا البحث يسعى لبيان أهمية تلك الظواهر في اللغة العربية بعامة، وأهميتها في (بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة) بخاصة، وقد استوجب ذلك أن يكون البحث في ثلاثة مباحث، تناول المبحث الأول (المشترك اللفظي في بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة)، فعرضَ ما ذكره كثيرٌ من الأصوليين واللغويين قديماً وحديثاً وما طُرِحَ في ذلك من آراء .

فضلاً عن بيان ما ذكره التستري في شرحه لنهج البلاغة من شواهد على ذلك من كلام الإمام علي (ع) في نهج البلاغة. أما المبحث الثاني فتناول (الترادف في بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة)، فخطا الخطوات المنهجية نفسها في المشترك اللفظي، في حين تناول المبحث الثالث (المُعرَّب في بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة)، ثم بعد ذلك خاتمةٌ بصورة ملخصة عن فكرة البحث وآلياته، تلتها قائمة بالمصادر والمراجع التي رجع إليها الباحث، ومن أهمِّها بعضُ المعجمات مثل (لسان العرب) ومراجعُ لغويةٌ مثل (دراسات في فقه اللغة: صبحي الصالح) ومراجعُ في الدلالة مثل (علم الدلالة: أحمد مختار عمر) وغير ذلك.

المبحث الأول: المشترك اللفظي في بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة:

يعد المشترك اللفظيّ من الظواهر اللغوية العامة ، التي تكاد أن تكون شائعة في جميع اللغات المنتشرة ، وليس في اللغة العربية فحسب ، إلا أنّ وجودها في العربية يمثل خصيصة من خصائصها الذاتية التي لا يمكن إنكارها[١] .

والمشترك كما يعرفه أحمد بن فارس : هو ((أن تكون اللفظة محتملة لمعنيين أو أكثر)) [٢] ، أو كما يقول الجرجاني : ((ما وضع لمعنى كثير بوضع كثير ، كالعين لاشتراكه بين المعاني)) [٣]، في حين ذهب علماء الأصول إلى أنهّ : ((اللفظُ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل اللغة)) [٤] .

وقد اختلف أهل الأصول في وقوع المشترك على ثلاثة اتجاهات[٥] :

الاتجاه الأول : وجوب وقوع المشترك في لغة العرب ؛ وذلك لكون المعاني غير متناهية ، والألفاظ متناهية والمتناهي إذا وزع على غير المتناهي لزم الاشتراك .

الاتجاه الثاني : امتناع وقوع المشترك : ويرى القائلون بذلك أنّ الألفاظ العامة – كالموجود والشيء – ثابتة في لغة العرب ، وقد ثبت أنّ وجود كل شيء هو نفس ماهيته ، فبهذا يكون وجود الشيء مخالفاً لوجود الآخر ، مع أن كل واحدٍ منها يطلق عليه لفظ الموجود بالاشتراك .

الاتجاه الثالث : إمكان وقوع المشترك وجوازه : وعند هؤلاء المواضعة تابعة لأغراض المتكلم ، وهي أما أن تكون من واضعين ، أي أن يضع أحد المتكلمين لفظاً لمعنى ، ثم يضعه الآخر لمعنى آخر ، ويشتهر ذلك اللفظ بين الطائفتين في إفادته المعنيين ، وهذا على أنّ اللغات غير توقيفية ، وإما من واضعٍ واحدٍ لغرض الإبهام على السامع حيث يكون التصريح سبباً للمفسدة .

أما علماء اللغة فاختلفوا أيضاً في وقوع المشترك ، فمعظم اللغويين قال بوقوعه ومنهم : سيبويه الذي قال ((اعلم أنّ من كلامهم ... اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين)) [٦] – ويرى بعض الباحثين أن سيبويه أقدم من أشار إلى المشترك . والمبرد الذي قال فيه ((واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين)) [٧]، وابن فارس الذي ذكر المشترك في الصاحبي في باب أجناس الكلام[٨]، وكذلك الثعالبي الذي أورده في (فقه اللغة وسّر العربية)

تحت عنوان (فصل وقوع اسم واحد على أشياء مختلفة) [٩]، وغيرهم .

وبعضهم أنكر وقوعه كابن درستويه الذي أرجع جميع المعاني المختلفة إلى معنى واحد، فقد ذكر السّيوطي ذلك، إذ قال ((قال ابن درستويه في شرح الفصيح – وقد ذكر لفظة – " وَجَد " واختلاف معانيها – هذه اللفظة من أقوى حجج من يزعم أن من كلام العرب ما يتفق لفظه ويختلف معناه؛ لأن سيبويه ذكره في أول كتابه، وجعله من الأصول المتقدمة ؛ فظنّ من لم يتأمل المعاني ، ولم يتحقق الحقائق أن هذا لفظ واحد قد جاء لمعانٍ مختلفة، وإنما هذه المعاني كلها شيء واحد ، وهو إصابة الشيء خيراً كان أو شراً ، ولكن فرقوا بين المصادر؛ لأن المفعولات كانت مختلفة ، فجعل الفرق في المصادر بأنها مفعولة ، والمصادر كثيرة التصاريف جداً)) [١٠] .

ويرى الدكتور أحمد مختار أنّ إنكار ابن درستويه لمختلف معاني (وجد) وردّها لمعنى واحد ((لعله كان يرد بذلك على المبرد الذي مثّل لاتفاق اللفظين واختلاف المعنيين بقوله : "وجدت شيئاً إذ أردت وجدان الضالة. ووجدت على الرجل من الموجدة . ووجدت زيداً كريماً أي علمت")) [١١] .

كذلك يرى الدكتور أحمد مختار أنّ موقف ابن درستويه من المشترك اللفظي هو ليس إنكار وقوعه وإنما هو تضييق مفهومه ، وجعله في النادر ولعللٍ [١٢]، ولذلك يقول ابن درستويه ((قد يجيء الشيء النادر من هذا لعللٍ ، كما يجيء فَعَل وأفعل ، فيتوهم من لا يعرف العلل أنهما لمعنيين مختلفين ، وإن اتفق اللفظان ، والسماع في ذلك صحيح من العرب ، فالتأويل عليهم خطأ ، وإنما يجيء ذلك في لغتين متباينتين ، أو لحذف واختصار وقع في الكلام ، حتى اشتبه اللفظان ، وخفي سبب ذلك على السامع ، تأول فيه الخطأ)) [١٣] .

أما غير ذلك فيرى ابن درستويه أنه خطأ ولبس في الكلام وليس إدخال اللبس في الكلام من الحكمة والصواب، لأن اللغة موضوعة للإبانة عن المعاني ، ووضع اللفظ الواحد للدلالة على معنيين مختلفين هو تعميه وتغطية [١٤] .

في حين يرى الدكتور إبراهيم أنيس أنّ ابن درستويه كان ((محقاً حيث أنكر معظم تلك الألفاظ التي عدت من المشترك اللفظي، واعتبرها

من المجاز. فكلمة الهلال حين تعبر عن هلال السماء، وعن حديدة الصيد التي تشبه في شكلها الهلال، وعن قلامة الظفر التي تشبه في شكلها الهلال، وعن هلال النعل الذي يشبه في شكله الهلال، لا يصح إذاً أن تعد من المشترك اللفظي؛ لأن المعنى واحد في كل هذا، وقد لعب المجاز دور في كل هذه الاستعمالات؛ لأن المشترك اللفظي الحقيقي إنما يكون حين لا تلمح أي صلة بين المعنيين، كأن يقال لنا مثلاً إن الأرض هي الكرة الأرضية وهي أيضاً الزكام)).

أما العوامل التي أدت إلى نشأة المشترك اللفظي في اللغة العربية فهي كثيرة إلا أنّ أهمها[١٥] :

١- الاستعمال المجازي :

يعد الاستعمال المجازي من أهم العوامل في نشوء المشترك اللفظي ، والذي يمكن أنّ يُعزا إليه معظم اختلافات المعاني وتغيرها ، فانتقال اللفظ من معناه الحقيقي إلى معان مجازية أخرى لعلاقة ما ، يعد تطوراً دلالياً ، يتوسع من خلاله المعنى ، وقد تنبه العلماء قديماً إلى أثر المجاز في وقوع المشترك ؛ إذ نجد أبا علي الفارسي يجعل وقوع المشترك مشروطاً بسببين أحدهما الاستعمال المجازي ، إذ يقول : أنّ ((اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ينبغي إلا يكون قصداً في الوضع ولا أصلاً ولكنه من ... أن تكون لفظة تستعمل لمعنى ثم تستعار لشيء فتكثر وتصير بمنزلة الأصل)) [١٦]. وضربوا له الأمثلة نحو لفظة (العين) فمن معانيها المجازية التي نقلها السيوطي في المزهر والتي ترجع إلى التشبيه، ((العين : الجاسوس تشبيهاً بالعين ؛ لأنه يطلع على الأمور الغائبة. وعين الشيء : خياره. العين : الرَّبيئة، وهو الذي يرقب القوم . وعين القوم : سّيدهم ، والعين : واحدُ الأعيان وهم الإخوة الأشقاء ، والعين الحرّ ؛ كل هذه مشبهة بالعين لشرفها)) [١٧] .

ويرى باحثون أن المجاز لا يكون له أثر في وقوع المشترك ونشأته إلا إذا أصبح من قبيل المجاز المنسي، وذلك أن يطول الأمد على تلك المجازات ، ويكثر استعمالها ، فلا تلبث أن تنسى الناحية المجازية فيها ، وتصبح معانيها حقيقة[١٨].

٢- اللهجات

يعد اختلاف اللهجات من الظواهر اللغوية التي كان لها أثر في نشأة المشترك اللفظي ، فتفسير المشترك باللهجات من أوسع المذاهب التي ذكرها العلماء من القدماء والمحدثين .

وهذا يرجع إلى تداخل اللغات الذي جعله أبو علي الفارسيّ السبب الثاني لوقوع المشترك[١٩] .

ويرى الباحثون أنّ هذا النوع من الاشتراك يحدث من خلال وجود لفظة ما متفقة البناء في قبائل متعددة ؛ إلا أنّ كل قبيلة تستعملها بمعنى يختلف عن القبيلة الأخرى ، ثم يأتي جامعوا المعجمات فيضموا هذه المعاني بعضها إلى بعض دون أن يعنوا في كثير من الأحوال بإرجاع كل معنى إلى القبيلة التي كانت تستعمله ، ومن أمثلة ذلك لفظة (الأَلْفَت) و (الأَلْفَتُ) في كلام قيس : الأَحْمَقُ . والأَلْفَتُ في كلام تميم : الأعسر)) [٢٠] وغيرها .

٣- اقتراض الألفاظ من اللغات المختلفة :

وهذا النوع من الاشتراك يحدث عندما تستعير العربية كلمة من لغة أخرى تشبه في صورتها الكلمة العربية إلا أنها تختلف عنها في المعنى، فتكون الكلمتان متحدتان في اللفظ ومختلفتان في المعنى؛ لكون كل منها ينتمي في الأصل إلى لغة مستقلة ، ومن أمثلة ذلك لفظة (الحُبّ) فـ (الحُبّ بمعنى : الوداد ، وهو حُبّ الشيء) ويأتي (الحُبّ) أيضاً بمعنى : (الجرة التي يجعل فيها الماء) ، فالمعنى الأول لكلمة (الحُبّ) عربي أصيل ، أما المعنى الثاني فهو مستعار من الفارسية ، لكلمة مماثلة تماماً للفظ العربي[٢١].

٤- التطور اللغوي :

وهو أن تكون هناك كلمتان كانتا في الأصل مختلفتي الصورة والمعنى ، ثم حدث تطور في بعض أصوات إحداهما، فاتفقت مع الأخرى في أصواتها، فالاتفاق بينهما فقط بالصورة ، أما المعنى فلكل منهما معنى مختلف عن الأخرى ، فالاشتراك بين اللفظتين اشتراك في الصورة لم ينشأ عن اشتراكهما في المعنى الأصلي، ومن أمثلة ذلك نحو (حنك الغراب) : أي شدة سواده ، وهي متطورة عن (حلك) بمعنى : شدة السواد ؛ قبلت فيه اللام نوناً[٢٢]، فصارت الكلمة تشبه كلمة ((حنك)) الأصلية التي تدل على ما تحت الذقن من الإنسان وغيره[٢٣] .

عني التستريّ في شرحه (بهج الصّباغة) بألفاظ المشترك وشرحها بأشكالٍ مختلفة ، لكن دون أن يطلق عليها مصطلح (المشترك أو الاشتراك) أو أي تسمية أخرى تدل عليه – في الغالب – وإنما

اكتفى بالقول (بمعنى أو معانٍ) ، ومن أمثلة ذلك لفظة (العين) الواردة في قوله (عليه السلام) : ((اِعْلَمُوا عِبَادَ اَللَّهِ أَنَّ عَلَيْكُمْ رَصَداً مِنْ أَنْفُسِكُمْ وَ عُيُوناً مِنْ جَوَارِحِكُمْ)) [٢٤]، فيقول التستريّ : ((ذكروا للعين معاني ومنها الجاسوس وهو المراد هنا)) [٢٥]، فنلاحظ التستريّ هنا يبين أن لفظة (العين) من الألفاظ المشتركة، وأن لم يصرح بمصطلح (المشترك)، أو يذكر معانيها المختلفة وإنما اكتفى بذكر معنى واحد لها وهو (الجاسوس)

المراد في قوله (عليه السلام) إلاّ أن ذلك واضح من خلال قوله (ذكروا للعين معاني) فهو يشير بقوله هذا إلى ما ذكره العلماء من معانٍ متعددةٍ للعين كقولهم: العين: عينُ الإنسان التي يبصر بها، والعين: عين الماء، والعين: الذهب، والعين: مطر أيام لا يقلع، والعين: عين الميزان، والعين: عين الجيش الذي ينظر لهم، والعين: عين الركية، والعين: الثقب للمزادة، والعين: عين الشمس ... الخ[٢٦] .

كذلك من الألفاظ المشتركة التي ذكرها التستريّ لفظة (وجد) الواردة في قوله (عليه السلام) : ((وَقَدْ بَلَغَنِي مَوْجِدَتُكَ مِنْ تَسْرِيحِ الاَشْتَرِ إِلَى عَمَلِكَ ، وَإِنِّي لَمْ أَفْعَلْ ذلِكَ اسْتِبْطَاءً لَكَ فِي الجَهْدِ، وَلاَ ازدِياداً لَكَ فِي الْجِدِّ)) [٢٧]، والتي نقل لها معانٍ متعددةٍ من (الصحاح) ، لكن دون أن يصرح بمعناها في قول الإمام (عليه السلام) إذ يقول التستريّ : ((يأتي (وجد) لمعان ولكل مصدر، قال الجوهري[٢٨]: وجد مطلوبه وجوداً ، ووجد ضالته وجداناً ، ووجد في المال وجداً ووُجداً أوجدة أي : استغنى ، ووجد في الحزن وجداً بالفتح ، ووجد عليه في الغضب موجدة)) [٢٩]، فنلاحظ أن التستريّ هنا يصرح بنقله لمعاني المشترك عن بعض العلماء ويصرح بأسمائهم كما هو واضح من نقله عن الجوهريّ ، إلا أنه لم يوضح معنى اللفظة في كلام الإمام (عليه السلام) ؛ ويبدو أن السبب في عدم ذكر التستريّ لمعناها في قوله (عليه السلام) ، لكون ذلك واضح من خلال ورودها بلفظ المصدر (الموجدة) التي تعني (الغضب) في قوله (عليه السلام) ، لا بلفظ الفعل (وجد) ، الذي يكون الإبهام فيه ؛ لتعدد معانيه ، كما يقول الثعالبي : أنّ (((وجد)

كلمة مبهمة ليس للعرب كلمة مثلها تختلف معانيها باختلاف مصدرها)) [٣٠] .

وقد أنكر ابن درستويه – كما أسلفنا – معاني (وجد) المختلفة وأرجعها كلها إلى معنى واحد ، إذ قال ((إنما هذه المعاني كلها شيء واحد، وهو إصابة الشيء خيراً كان أو شراً، ولكن فرقوا بين المصادر ؛ لأن المفعولات كانت مختلفة ، فجعل الفرق في المصادر بأنها أيضاً مفعولة، والمصادر كثيرة التصاريف جداً، وأمثلتها كثيرة ومختلفة، وقياسها غامض، وعللها خفية، وقياسها غامض، وعللها خفية، والمفتشون عنها قليلون، والصبرُ عليها معدوم؛ فلذلك توهم أهل اللغة أنها تأتي على غير قياس، لأنهم لم يضبطوا قياسها ولم يقفوا على غورها)) [٣١].

وقد يأتي المشترك عند التستريّ لمعنيين فقط لا لمعانٍ كثيرة – كما سبق – واستشهد لكل معنى بشاهدٍ ، كما في لفظة (الأماني) الواردة في قوله (عليه السلام) : ((بُؤْساً لَكُمْ لَقَدْ ضَرَّكُمْ مَنْ غَرَّكُمْ ... فَقَالَ اَلشَّيْطَانُ اَلْمُضِلُّ وَ اَلْأَنْفُسُ اَلْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ غَرَّتْهُمْ بِالْأَمَانِيِّ)) [٣٢]، فيقول التستريّ : (((الأماني) جمع الأمنية بمعنى التمني . قال تعالى حكاية عن المؤمنين للمنافقين يوم القيامة :((**يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاء أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ**)) [سورةالحديد:١٤] ، وأما الأماني في قوله تعالى : ((**وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ**)) [سورة البقرة : ٧٨] ، فقيل : بمعنى قراءات من " تمنيت الكتاب" قرأته)) [٣٣] ، فنلاحظ لفظة (الأماني) من الألفاظ المشتركة عند التستريّ لمجيئها بمعنيين مختلفين .

المعنى الأول (التمني) دل عليه كلام الإمام (عليه السلام) والآية الأولى والثاني (القراءات) وقد دلت عليه الآية الثانية .

ونلاحظ أن التستريّ في هذه الأمثلة المتقدمة يعالج ألفاظ المشترك بمعزلٍ عن سياق النهج ، دون أن يوضح أثر السياق في تحديد معنى اللفظ ودلالته ، في حين نجده في مواضع أخرى يبرز أثره في إكساب اللفظ معنى محدوداً ودلالة معينة ، ومن أمثلة ذلك لفظة (الحجة) فقد جاءت هذه اللفظة عند التستريّ بمعنيين ، الأول (البرهان والبينة) كما في قوله (عليه السلام) : ((وَلَا يَقَعُ اِسْمُ اَلِاسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ اَلْحُجَّةُ فَسَمِعَتْهَا

أُذُنُهُ وَوَعَاهَا قَلْبُهُ)) [٣٤]، فيقول التستريّ : ((الظاهر أن الحجة هنا بمعنى البرهان، والبينة فيصح تأنيث مسنده قبله، وإرجاع ضمير المؤنث إليها بعده بخلاف سابقها)) [٣٥] ، أما المعنى الثاني لها فهو (الشخص المكلف من الله بتبليغ أمر الله) كما في قوله (عليه السلام) : ((اَللَّهُمَّ بَلَى لاَ تَخْلُو اَلْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّةٍ إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً وَ إِمَّا خَائِفاً مَغْمُوراً لِئَلاَّ تَبْطُلَ حُجَجُ اَللَّهِ وَ بَيِّنَاتُهُ)) [٣٦]، فيقول التستريّ : ((يراد بالحجة الأنبياء ومن كان بمنزلتهم من أوصيائهم ، ولم يكن بعد نبينا صلى الله عليه وآله من يكون مثله في العصمة، ومن يقوم به الحجة سوى الأئمة الاثني عشر بإجماع الأمة)) [٣٧]، ويستدل التستريّ على هذا المعنى من خلال الألفاظ الأخرى الموجودة في السياق إلى جانب اللفظة ، كلفظتي (ظاهراً مشهوراً) التي يرى التستريّ أنّ المراد بهما ((كأمير المؤمنين (عليه السلام) وأبنائه العشرة من الحسن السبط إلى الحسن العسكري صلوات الله عليهم)) [٣٨] ، أو لفظتي (خائفاً مغموراً) التي يرى التستريّ أن المراد بها القائم المنتظر (عليه السلام) [٣٩].

أو كما في لفظة (الحوبة) التي أشرنا إليها فيما مضى ، أختلف التستريّ مع الشراح في معناها في قوله (عليه السلام) : ((الْآنَ عِبَادَ اللَّهِ وَالْخِنَاقُ مُهْمَلٌ وَالرُّوحُ مُرْسَلٌ فِي فَيْنَةِ الْإِرْشَادِ وَرَاحَةِ الْأَجْسَادِ وَبَاحَةِ الِاحْتِشَادِ وَمَهَلِ الْبَقِيَّةِ وَأُنُفِ الْمَشِيَّةِ وَإِنْظَارِ التَّوْبَةِ وَانْفِسَاحِ الْحَوْبَةِ قَبْلَ الضَّنْكِ وَالْمَضِيقِ ...)) [٤٠] ، ويرى التستريّ أن لفظة (الحوبة) تأتي بمعنيين أحدهما الحاجة والآخر (الإثم) وهو الأشهر إلا أنه اختلف مع الشراح في معناها هنا في قوله (عليه السلام) ، فقد ذهب أغلب الشراح إلى أن معناها هنا هو (الحاجة) [٤١] ، في حين يرى التستريّ أن معناها (الإثم) وقد استدل على هذا المعنى من خلال القرينة الموجودة في السياق وهي (التوبة) إذ يقول: ((إن الحوبة وأن كانت قد تأتي بمعنى الحاجة إلا أنها في كلامه عليه السلام بمعناها الأشهر وهو الإثم بقرينة قرينتها (التوبة) والمراد بانفساخ الحوبة انفساخ التخلص عن الإثم وسعته...)) [٤٢].

المبحث الثاني: الترادف في بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة:

الترادف يراد به: تعدد اللفظ الدال على المعنى الواحد[٤٣]، أو كما يعرفه فخر الدين الرازي : ((هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد)) [٤٤]، واحترز الإمام فخر الدين الرازي بتعريفه هذا ((بالإفراد عن الاسم والحد، فليسا مترادفين، وبوحدة الاعتبار عن المتباينين، كالسيف والصارم، فإنهما دلا على شيء واحد، لكن باعتبارين: أحدهما على الذات والآخر على الصفة...)) [٤٥] .

وتعد ظاهرة الترادف من الظواهر اللغوية المهمة ، التي تنبه إليها القدماء منذ وقت مبكر ؛ نتيجة لملاحظاتهم للواقع اللغوي ، وقد جاءت إشاراتهم إلى هذه الظاهرة بشكل واضح وجلي في الكثير من مصنفاتهم[٤٦]، ومن تلك الإشارات إشارة سيبويه ، التي تعد أقدم الإشارات إلى هذه الظاهرة ، إذ يقول سيبويه ((أن من كلامهم ... اختلاف اللفظين والمعنى واحد ...)) [٤٧] .

وقد اختلف العلماء في وقوع الترادف في العربية، كما اختلفوا من قبل في وقوع المشترك اللفظي والأضداد ، بين مقرين بوقوعه ومثبتين له ، وبين منكرين ورافضين له .

فمن قال بوجوده ، وأقر بوقوعه ، يرى أنّ ((جميع أهل اللغة "إذا أرادوا أن يفسروا اللبّ قالوا : العقل ، أو الجرح قالوا : هو الكسب ، أو السّكب قالوا : هو الصّب. وهذا يدلّ عل أن اللب والعقل عندهم سواء وكذلك الجرح والكسب. و السّكب والصّب وما أشبه ذلك)) [٤٨] [٦] ، كما يرى المثبتون له أنه ((لو كان لكل لفظ معنى غير معنى الأخرى لما أمكن أن نعبر عن شيء بغير عبارة ؛ وذلك أنا نقول في ((لا ريب فيه)) : لا شك فيه ؛ فلو كان الريب غير الشك لكانت العبارة عن معنى الريب بالشك خطأ ؛ فلما عبر بهذا عن هذا اعلم أن المعنى واحد)) [٤٩] .

فضلاً عن ذلك ، فقد ذكر مثبتو الترادف قصصاً وأحاديث للبرهنة على وقوع الترادف[٥٠]، ومن هؤلاء المقرين لترادف ، سيبويه – كما أسلفنا – والمبرد ، وقطرب ، الذي علل وقوع الترادف بأنه توسع في كلام العرب وألفاظهم[٥١]، والأصمعي صاحب رسالة (ما اختلف ألفاظه واتفقت معانيه) ، والرماني صاحب كتاب (الألفاظ المترادفة والمتقاربة في المعنى)، وكذلك الفيروز آبادي الذي ألف فيه كتاباً أسماه (الروض المسلوف فيما له أسمان إلى ألوف) ، وابن خالويه الذي له

كتابان أحدهما في أسماء الأسد والآخر في أسماء الحية) [٥٢] وغيرهم من العلماء .

كذلك من الجدير بالذكر أنّ هناك من العلماء من أقرّ بوجود الترادف في العربية ، إلا أنه قيد حدوثه ووضع له شروطاً تحد من كثرة وقوعه ، ومن هؤلاء : الإمام فخر الدين الرازي – وقد ذكرنا القيود التي وضعها لوقوع الترادف من خلال تعريفه له فيما تقدم – والأصفهاني الذي يرى أنّ الترادف لا يقع إلا في اللهجة الواحدة أما ما كان في لهجتين فهو ليس بترادف[٥٣].

أما من أنكر الترادف ، فيرى ((أنه لابدّ من سبب للتسمية والقول بالعلل والاعتبارات المتباينة في إطلاق الألفاظ على المسميات ، حتى وإن كانت هذه العلل مجهولة أو غامضة . وأن الترادف يتنافى مع حكمة الوضع في هذه اللغة لأن واضع اللغة حكيم لا يمكن أن يضع لفظتين أو أكثر على معنى واحد ، ولأن الترادف تكثير للغة بما لا فائدة فيه)) [٥٤].

أما المنكرون للترادف ، فمن أشهرهم : ابن الأعرابي – ويعدّ أول من أنكر الترادف – والذي يقول : ((كل حرفين أوقعهما العرب على معنى واحد في كل واحد منهما معنى ليس في صاحبة ، ربما عرفناه فأخبرنا به ، وربما غمض علينا ، فلم تلزم العرب جهله)) [٥٥]، وقد تبعه في ذلك تلميذه (ثعلب) ، وكذلك ابن درستويه ، وأبو علي الفارسي، وأحد بن فارس، وأبو هلال العسكري[٥٦]، وغيرهم .

أما أسباب وقوع الترادف في العربية فلا تكاد أن تختلف عن أسباب نشوء المشترك اللفظي والأضداد ، ومنها[٥٧]:

١- تعدد أسماء الشيء الواحد تبعاً لتعدد اللهجات ، أي أنه في كل لهجة يطلق على الشيء اسم يختلف عن الأخرى ، ثم إنّ هذه اللهجات فيما بعد شكلت العربية المشتركة الموحدة ، فأدى تعدد الألفاظ التي تطلق على الشيء الواحد إلى الترادف في اللغة العربية المشتركة .

٢- انتقال الكثير من صفات المسمى الواحد من معنى الصفة إلى معنى الاسم الذي تصفه ، نحو الصارم ، والباتر ، والقاضب ... الخ فأسماء السيف هذه في الأصل هي صفات للسيف .

٣- التطور اللغوي الذي يصيب بعض الألفاظ ، إذ تتطور بعض أصوات اللفظة الواحدة على ألسنة الناس ، فتنشأ صور أخرى للكلمة الواحدة في الأصل ، نحو ما روى الأصمعي عن العرب بأنهم يقولون : ((" ما كِدتُ أَتَمَلَّصُ من فلانٍ" و " أتملس " و " أَتَمَلَّزُ " بمعنى أتخلص منه)) [٥٨].

٤- الاقتراض والاستعارة من اللغات الأجنبية التي تجاور العربية كالفارسية وغيرها ، فمن أمثلة ذلك نحو : لفظة (المسك) تسمى بالعربية (المشموم) [٥٩] ، ولفظة (الهاوون) فتسمى بالعربية (المنحاز والمهراس) [٦٠] ، وغيرها من الألفاظ .

يمكن القول أنّ وقوع الترادف أمر لا يمكن إنكاره ليس في العربية فحسب وإنما كما ((يجمع المحدثون من علماء اللغات ، على إمكان وقوع الترادف ، في أي لغة من لغات البشر ، بل أن الواقع المشاهد . أن كل لغة تشتمل على بعض تلك الكلمات المترادفة)) [٦١] .

لقد تباين موقف التستريّ من ظاهرة الترادف ما بين الإقرار بترادف بعض الألفاظ الواردة في النهج ، وما بين إنكارها والتماس الفروق للكثير منها، إلا أن نسبة الألفاظ التي اقر بترادفها قليلة جداً مقارنة بتلك التي فرق بين معانيها، ومن أمثلة الألفاظ المترادفة عنده ، لفظتا (الحمد، المدح) الواردتان في قوله (عليه السلام) : ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ وَلَا يُحْصِي نَعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ)) [٦٢]، فيرى التستريّ أنّ لفظة (الحمد) ترادف (المدح) ، وقد ذكر التستريّ أن الجوهري قد أشار إلى ذلك في (الصحاح) في حين ذكر أن الفيومي في (المصباح) قد فرق بينهما، إلا أنّ التستريّ قد أنكر ذلك على القيومي ، وأرجع كليهما إلى معنى واحد، إذ يقول التستريّ : ((ظاهر (الصحاح) ترادف الحمد مع المدح ، حيث قال[٦٣]: الحمد نقيض الذم ؛ وفرق (المصباح) [٦٤]بينهما، فجعل الحمد للجميل الاختياري فقط ، والمدح له وللخلقي ، إلا أنّ الظاهر أنّ كلاً من الحمد والمدح للاختياري النفساني ، فكما لم نسمع استعمال حمد اللؤلؤ ، كذلك لم نسمع استعمال مدحه)) [٦٥]، إذن فالتستريّ يرى أنّ كلاً من (الحمد والمدح) يدلان على شيء واحد وهو (الاختياري النفساني) ، في حين ذهب كثير من العلماء إلى التفريق بين اللفظتين ، من خلال عدة نواحي ، منها :

إن الحمد أخص من المدح ، إذا ((أن الحمد لا يكون إلا على أحسان والله حامد لنفسه على إحسانه إلى خلقه فالحمد مضمن بالفعل ، والمدح يكون بالفعل والصفة وذلك مثل أن يمدح الرجل بإحسانه إلى نفسه وإلى غيره وأن يمدحه بحسن وجهه وطول قامته ويمدحه بصفات التعظيم من نحو قادر وعالم وحكيم ولا يجوز أن يحمده على ذلك وإنما يحمده على أحسان يقع منه فقط)) [٦٦]، أي أن الحمد لا يكون إلا بعد الإحسان ، أما المدح فيكون قبله وبعده ، فلا يحمد من ليس في صفاته محاسن ، ومن لم يفعل الجميل ، في حين يمدح الإنسان وأن كان لم يفعل شيئاً من المحاسن والجميل[٦٧] .

كذلك أن الحمد لا يكون إلا للحي العاقل في حين يكون المدح للحي ولغير الحي ، كما يقول فخر الدين الرازيّ : ((إن الحمد قد يحصل للحي ولغير الحي ، إلا ترى أنّ من رأى لؤلؤة في غاية الحسن أو ياقوتة في غاية الحسن فإنه قد يمدحها ويستحيل أن يحمدها فثبت أنّ المدح أعمّ من الحمد)) [٦٨] .

ويرى الدكتور فاضل السامرائي أن استعمال الحمد للحي العاقل والمدح للحي ولغير الحي من أشهر ما فرق به بين لفظتين[٦٩].

كذلك من الفروق الأخرى بين الحمد والمدح أن الحمد فيه تعظيماً وإجلالاً ومحبة وهذه الصفات ليست موجودة في المدح[٧٠] .

أما الألفاظ التي لم يقل بترادفها وقد أوجد بين معانيها فروقاً، فهي كثيرة، وقد أتبع التستريّ أساليب مختلفة في إيجاد الفروق بينهما، من ذلك التفريق بين اللفظتين من جهة العموم والخصوص وهو أن تكون أحدى اللفظتين أشمل وأعم من الأخرى ، وهذه من أكثر الأساليب التي اعتمدها التستريّ في التفريق بين الألفاظ المترادفة ، فمن أمثلة ذلك نحو تفريقه بين لفظتي (الفيء والظل) الواردتين في قوله (عليه السلام) : ((أَلاَ إِنَّ اَلدُّنْيَا دَارٌ لاَ يُسْلَمُ مِنْهَا إِلاَّ فِيهَا وَلاَ يُنْجَى بِشَيْءٍ كَانَ لَهَا ... فَإِنَّهَا عِنْدَ ذَوِي اَلْعُقُولِ كَفَيْءِ اَلظِّلِّ)) [٧١]، فيقول التستريّ : ((كل فيء ظل ، وليس كل ظل فيئاً، قال رؤبة[٧٢] : كل ما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو فيء وظل، وما لم يكن عليه الشمس فهو ظل، ولكون الظل أعم صح إضافة

الفيء إليه)) [٧٣]، فنلاحظ أنّ الفرق بين اللفظتين عند التستريّ، هو أنّ لفظة (الظل) أعم واشمل من لفظة (الفيء)، بل أن لفظة (الفيء) تدخل ضمن لفظة (الظل)، ويرى التستريّ أنّ الدليل على أنّ (الظل) يختلف عن (الفيء) هو صحة إضافة الفيء إلى الظل كما تقدم في قوله (عليه السلام) .

ومن الألفاظ الأخرى التي فرق بينها من ناحية العموم والخصوص ، لفظتا (الأسير والعاني) الوارد في قوله (عليه السلام) : ((فمن آتاه الله مالاً . فليصل به القرابة وليحسن منه الضيافة وليفُكَّ به الأسير والعاني وليُعطِ منه الفقير والغارم ...)) [٧٤]، اختلف التستريّ مع ابن أبي الحديد في لفظتي (الأسير والعاني) من حيث ترادفهما أو عدمه ، فقد ذهب ابن أبي الحديد إلى ترادفهما ، إذ قال ((العاني الأسير بعينه وإنما اختلف اللفظ)) [٧٥]، أما التستريّ فقد أنكر ذلك على ابن أبي الحديد ، وعده غلطاً وفرق بين اللفظتين من ناحية العموم والخصوص فضلاً عن ذلك الفرق ، فقد التمس لهما فروقاً أخرى ، فيقول التستريّ : (العاني) أي المحبوس . قال الجوهري[٧٦]: عناه حبسه ، وعنى فيهم أسيراً أي أقام فيهم على أسارة واحتبس ، وقال ابن دريد[٧٧] : العنو مصدر عنا يعنو إذا ذل، و منه اشتقاق العنوة ، و فسر قوله تعالى : ((**وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا**)) [سورة طه١١١] من هذا، و من تسميتهم الأسير عانياً ... وقول ابن أبي الحديد: العاني الأسير بعينه وإنما اختلف اللفظ ، غلط ، فالعاني اعم والأصل فيه الذليل، فيراد منه المحبوس كما يراد منه الأسير، ويمكن أن يراد بفك العاني فك رقبة تحت الشدة والذلة عند مولاه، و هو احد مصارف الزكاة الثمانية)) [٧٨]، التستريّ هنا يرى أنّ الفرق بين (العاني والأسير) هو كون لفظة العاني أعم واشمل من لفظة الأسير ، بل أن الأسير تمثل جزءاً من العاني كما ذكر أنّ العاني تدل على المحبوس والسير معاً .

وقد يفرق التستريّ بين اللفظتين من خلال كون إحداهما تمثل أصل حدوث الشيء والأخرى منتاهاه ، ومن أمثلة ذلك لفظتا (الينبوع والعين) الواردتان ، في قوله (عليه السلام) : ((وَحَمْلِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ الشُّمَّخِ الْبُذَّخِ عَلَى أَكْتَافِهَا فَجَّرَ يَنَابِيعَ الْعُيُونِ مِنْ عَرَانِينِ أُنُوفِهَا)) [٧٩] ، فيقول التستريّ : ((يفهم من إضافته عليه السلام

الينابيع إلى العيون كون الينبوع غير العين ، وأنّ الينبوع أصل العين ، ومحل خروج الماء، والعين ماؤه المجتمع، لا كما توهم من اتحادهما)) [٨٠]، فالتستريّ يرى أنّ دليل اختلاف الينبوع عن العين هو إضافة الينابيع إلى العيون في قوله (عليه السلام) .

وقد يرجع التستريّ أحياناً الألفاظ التي ينكر ترادفها إلى معنى (مركزي) عام تشترك فيه جميعها إلا أنه يفرق بينها من خلال وجود معنى خاص تختص به كل لفظة ولا يصح استعمال لفظة محل الأخرى، ومن أمثلة ذلك تفريق التستريّ بين لفظتي (أنشأ و ابتدأ) من جهة ، وبين (أنشأ، و ذرأ، وجبل) من جهة أخرى ، وقد وردت هذه الألفاظ في قوله (عليه السلام) : ((أَنْشَأَ الخَلْقَ إنْشَاءً، وَابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً، بِلاَ رَوِيَّة أَجَالَهَا ... فَجَبَلَ مِنْها صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاء وَوُصُول، وَأَعْضَاء وَفُصُول ...)) [٨١]، فيقول التستريّ في تفريقه بين الإنشاء والابتداء : ((ومعنى الإنشاء : أنه تعالى أوجد الخلق لا من مادة ، ومعنى الابتداء : أنه أوجدهم لا لتحصل له فائدة)) [٨٢]، أما الناحية الأخرى في تفريقه بين (أنشأ و ذرأ و جبل) فيقول : ((إن جبل و ذرأ وأنشأ كلها بمعنى : خلق إلا أنّ لكل منها خصوصية لا يصح لها استعمال أحدها في موضوع الآخر ، فإن ذرأ معناه : خلق متكثر منتشر ؛ قال تعالى : **((فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ))** [سورة الشورى : ١١]، و (أنشأ) معناه خلق حادث جديد ؛ قال تعالى : **((الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى))** [سورة النجم :٣٢]، وجبل معناه خلق غليظ ؛ قال الجوهري[٨٣] :

يقال للرّجل إذا كان غليظاً : أنه لذو جبلة ، وامرأة مجبال ، أي : غليظة الخلق ...)) [٨٤].

إذن فنلاحظ أن هذه الألفاظ جميعها تدور حول معنى عام هو (الخلق) إلا أنها تحمل إلى جانب هذا المعنى العام معنى خاصاً يجعلها تختلف بعضها عن بعض كما وضح ذلك التستريّ من

خلال استشهاده على بعضها بالشواهد القرآنية والشواهد الأخرى .

المبحث الثالث: المعرّب في بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة

لا شك في أنّ اللغة العربية هي لغة شأنها شأن اللغات الأخرى ، تتأثر وتؤثر بغيرها من اللغات ، وهذا التأثير والتأثر ، هو نتيجة الاحتكاك والاتصال الذي حدث بين العرب والأمم الأخرى – والذي كان منذ وقت مبكر[٨٥]– وقد شمل هذا التأثر نواحي عديدة ، إلا أنّ أهمها ((الناحية المتعلقة بالمفردات ، ففي هذه الناحية على الأخص ، تنشط حركة التبادل بين اللغات ، ويكثر اقتباسها بعضها من بعض)) [٨٦] ، هذا مما أدى إلى كثر الألفاظ الأجنبية التي اقترضتها وأدخلتها العربية إليها من اللغات الأخرى في عصورها المختلفة[٨٧]، وقد مثلت ظاهرة اقتراض الألفاظ ودخولها إلى العربية سبيلاً من سبل نمو الثروة اللفظية ؛ لأنه يضيف للغة ألفاظاً لم يكن لأهلها عهد بها من قبل[٨٨].

وقد عرفت هذه الظاهرة بعدة تسميات أشهرها الدخيل ، والمعرب) ، وعرف المعرب والدخيل بتعاريف عديدة منها :

قال الجوهريّ : ((تعريب الاسم الأعجميّ أن تتفوه به العرب على منهاجها ، تقول : عرّبته العرب وأعربَته أيضاً)) [٨٩]. وقال السيوطيّ : ((هو ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعانٍ في غير لغتها))[٩٠]، أو هو ((لفظ وضعه غير العرب لمعنى ثم استعملته العرب بناء على ذلك الوضع)) [٩١]، في حين يرى بعض الباحثين المحدثين : هو ما استقر في العربية من مفردات اقتبستها وأخذتها من اللغات الأجنبية على مرّ عصورها حتى أصبحت جزءً من اللغة ، بعد أن أخضعتها لمنهجها وأسلوبها ، في أصواتها وبنيتها وما شاكل ذلك[٩٢] .

أما معرفة الاسم المعرب في العربية، فقد ذكر السيوطيّ أنّ العلماء وضعوا لها علامات تدل عليها، هي[٩٣] :

١– النقل هو أن ينقل ذلك أحد أئمة العربية .

٢– خروج المعرب عن أوزان الأسماء العربية نحو إبريسم ؛ فإن مثل هذا الوزن مفقود في أبنية الأسماء في اللسان العربيّ .

٣– أن يكون أوله نون ثم راء نحو نرجس ؛ فإن ذلك لا يكون في كلمة عربية .

٤- أن يكون آخره زاياً بعد دال نحو مهندز ؛ فإن ذلك لا يكون في كلمة عربية .

٥- أن يجتمع فيه الصاد والجيم نحو الصولجان ، والجصّ .

٦- أن يجتمع فيه الجيم والقاف نحو المنجنيق .

٧- أن يكون خماسياً ورُباعياً عارياً من حروف الذلاقة ، وهي الباء ، والراء ، والفاء ، واللام ، والميم ، والنون ، فإنه متى كان عربياً فلا بد أن يكون فيه شيء منها ؛ نحو سفَرْجَل، وقُذَعْمِل، و قِرْطَعْبٌ ، جَحْمَرشِ[٩٤].

أما تعريب الكلمة الأعجمية فلا يكون إلا بعد تغيير ما في الكلمة – في الغالب – وقد يقع التعريب بدون أي تغيير في الكلمة ككلمة (بخت) بمعنى (حظ) فإنها نقلت من الفارسية إلى العربية بدون أن يغير فيها شيء وكذلك كلمة (سخت) بمعنى شديد – إلا أنّ هذا النوع قليل[٩٥].

وإنّ طريقة العربية في تعريب الألفاظ الأجنبية ، لا يتم إلا على النحو التالي :

١- إبدال الأصوات التي ليست من أصوات العرب ، إلى أقربها مخرجاً ، وربما أبعدوا في مثل هذه الأصوات وهو لازم ؛ لئلا يدخل في كلامهم ما ليس من أصواتهم . فمما أبدلوه من الأصوات : ما كان بين الجيم والكاف (گ)، ربما يجعلونه كافاً، وربما يجعلونه جيماً، وربما يجعلونه قافاً، كقولهم : كربج . وقربق ، وكذلك أبدلوا الحرف الذي بين الباء والفاء (P) فاء ، وربما جعلوه باءاً نحو برند وفرند.

٢- التعريب بزيادة حروف في الكلمة المعربة نحو أرَنْدَج – وهو جلدٌ أسودُ – فإنه معرب رَنْده زيدت في أوله الهمزة وأبدلت فيه الهاء جيماً[٩٦].

٣- التعريب بنقص حروف الكلمة المعربة نحو : بَهْرَج فإنه معرب من نبهره – أي باطل – ومعناه الزغل[٩٧]. وغيرها من الأساليب التي اتبعتها العربية في تعريب الكثير من الألفاظ الأعجمية .

أما أول من ذكر المعرب في اللغة من العلماء فهو الخليل بن أحمد الفراهيديّ في كتابه (العين) [٩٨]، إذ قال : ((عمَصْتُ العَامِصَ ، وأَمَصْتُ الآمِصَ أي : الخامِيز ، معربة)) [٩٩] .

لقد تتطرق التستريّ لشرح بعد ألفاظ المعرب الواردة في نصوص نهج البلاغة بأساليب مختلفة ، بعضها بشكلٍ موجز ، والآخر فيه شيء من

التفصيل ومن أمثلة ذلك : أن يكتفي التستريّ بالإشارة فقط إلى اللفظة بأنها معربة واللغة التي عربت منها، دون توضيح لأصل اللفظة أو معناها ، أو طريقة تعريبها و ما شبه ذلك كما في لفظة (الإبريق) الواردة في قوله (عليه السلام) : ((وَلَهُ فِي مَوْضِعِ الْعُرْفِ قُنْزُعَةٌ خَضْرَاءُ مُوَشَّاةٌ وَمَخْرَجُ عُنُقِهِ كَالْإِبْرِيقِ)) [١٠٠]، فيقول التستريّ : (((الإبريق) فارسي معرب)) [١٠١].

وفي بعض الأحيان نجده يذكر أصل اللفظة المعربة وتركيبها ومعناها وما حدث فيها من أبدال في أصواتها ، من ذلك ما ذكره التستريّ في ردّه على الجوهري في جواز اشتقاق لفظة (تدهقن) الواردة في مناسبة الحكمة (٣٧) التي ذكرها الرضي (رحمه الله)، إذ قال : ((وقال عليه السلام وَقَدْ لَقِيَهُ عِنْدَ مَسِيرِهِ إِلَى الشَّامِ دَهَاقِينُ الْأَنْبَارِ فَتَرَجَّلُوا لَهُ وَ اشْتَدُّوا بَيْنَ يَدَيْهِ...))[١٠٢]، فيقول الجوهري : ((الدهقان ، معرب ، إن جعلت النون أصلية من قولهم (تدهقون الرجل) صرفته لأنه فعلان وإن جعلته من الدّهق لم تصرفه لأنه فعلان)) [١٠٣]، فيرد التستريّ الاحتمال الثاني بقوله : ((لا وجه لاحتمال كونه من الدهق ، لأن الكلمة معربة مركبة من ((ده)) بمعنى القرية و (قان)) مبدل ((پان)) مخفف ((پاينده)) بمعنى الحافظ)) [١٠٤].

وهناك من يرى أن لفظة ((دهقان)) تعريب ((دهگان)) الفارسي و ((دهيگان)) الفهلوي ، وهو مركب من جزئين ، الأول ((ده)) بمعنى ((القرية)) والثاني ((گان)) أو ((ايكان)) الذي يدل على النسبة والتعلق ، فمعنى ((دهگان)) أو ((دهيكان)) هو ((الزراع)) أو ((مالك الزرع والقرية)) [١٠٥].

وقد نجد التستريّ أحياناً يشكك في تعريب لفظة ويرجح أن تكون منحوته كما في لفظة (تراجمه) الواردة في قوله (عليه السلام) : ((اتَّخَذَهُمْ إِبْلِيسُ مَطَايَا ضَلَالٍ، وَجُنْداً بِهِمْ يَصُولُ عَلَى النَّاسِ، وَتَرَاجِمَةً يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ)) [١٠٦]، فيتحدث التستريّ عن تعريب لفظة (ترجمان) من خلال ذكره لاختلاف العلماء في تاء (ترجم) ، إذ يقول التستريّ : ((قال الفيومي[١٠٧]: ((ترجم الكلام)) إذا أوضحه، واسم الفاعل ترجمان ، وفيه لغات فتح التاء وضم الجيم وفتحها وضمها، وجمعه تراجم، والتاء والجيم أصليتان وجعل الجوهري[١٠٨] التاء زائدة أورده في رجم)) [١٠٩]، ثم قال التستريّ : ((الظاهر أن ما كان على فعلان كالترجمان

والقهرمان إما معرب وإن كان ورد في الفصيح ، فورد الترجمان في كلامه عليه السلام أو مركب من كلمتين وهو الأظهر، ولذا لم يذكر أهل اللغة القهرمان أصلاً ونحت المركب حتى يجعل كلمات كلمة كبيرة في جميع اللغات)) [١١٠].

وقد يشرح التستريّ اللفظة المعربة من خلال نقل معناها واللغة التي عربت منها وكيفية تعريبها عن طريق أحد اللغويين ، مثال ذلك كلفظة (البواصي) الواردة في الشعر الذي استشهد به (عليه السلام) ، فيقول (عليه السلام) : ((ولا تَدْرِي على أَيِّ شيء أَنت منه فهو ظَنونٌ وعلى ذلك قول الأعشى :

مَا يُجْعَلُ الجُدُّ الظَّنُونُ الّذي

جنّبَ صوبَ اللّجبِ الزّاخرِ

مثلَ الفراتيّ، إذا ما طما

يَقْذِفُ بِالبُوصِيّ وَالمَاهِرِ)) [١١١]

فيقول التستري (((البواصي) في (الجمهرة) [١١٢] البواصي السفينة وكانت بالفارسية بالزاي، فقلبتها العرب صاداً)) [١١٣] .

وقد ينقل التستريّ أحياناً وجهين في تعريب لفظة لكن لا يختار أحدهما أو يرجحه كما في لفظة (العراق) الواردة في قوله (عليه السلام) : ((أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ حَمَلَتْ فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ ...)) [١١٤]، فيقول التستريّ : العراق ((عن الأصمعي: أنها معربة إيران شهر، وقيل معربة إيراف بالفاء ومعناه مغيض الماء لأن دجلة والفرات وتامرا تنصب من نواحي أرمينية وبند ، من الروم إلى العراق ، وبها يقر قرارها ، وقيل العراق بمعنى الاستواء[١١٥]))[١١٦].

وقد يذكر التستريّ اختلاف العلماء في تعريب لفظة كما في لفظة (مراهم) الواردة في قوله (عليه السلام) : ((طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّهِ قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ وَأَحْمَى مَوَاسِمَهُ ...) [١١٧])، فيقول التستريّ : ((ومراهمه) جمع المرهم ، ما يوضع على الجراحة . قال في (الصحاح) [١١٨]: المرهم معرب ، ولكن في (الجمهرة) [١١٩] الرهمه، والجمع رهام : الدفعة اللينة من المطر، ومنه اشتقاق المرهم للينه)) [١٢٠]، فنجد التستري هنا يكتفي بطرح الرأيين دون اختيار لأحدهما .

الهوامش:

١ ينظر : دراسات في فقه اللغة ، صبحي الصالح ، ٣٠٢ ، وفقه اللغة وخصائص العربية ، محمد مبارك : ١٩٩ ، ومنهج البحث اللغوي ، علي زوين : ١٣٨ ، مشكلات العربية واقتراح المرحوم أحمد أمين : مصطفى الشهابي ، مجلة المجمع العلمي العربي ، مج : ٣٩ ، ج : ٤ ، ص ٣٥ ، والمشترك اللفظي في اللغة العربية : ٧١ – ٧٢.

٢ الصاحبي في فقه اللغة : ٢٢٥ .

٣ التعريفات : ٢١٠ .

٤المزهر : ١ / ٣٦٩ ، وينظر : المستصفى : ١ / ٩٧ ، وإرشاد الفحول : ١ / ١٢٥ .

٥ ينظر : المزهر: ١ / ٣٦٩ ، وإرشاد الفحول : ١ / ١٢٦ – ١٢٨ .

٦ الكتاب : ١ / ٢٤ .

٧ ما اتفق لفظة واختلف معناه من القرآن المجيد : ٤٧ .

٨ ينظر : الصاحبي في فقه اللغة : ١٧١

٩ ينظر : فقه اللغة وسر العربية ، للثعالبي : ٢ / ٦٤٢ .

١٠ المزهر : ١ / ٣٨٤ ، وينظر : تصحيح الفصيح : ١٨٧ – ١٨٨ .

١١ علم الدلالة : ١٥٦ .

١٢ ينظر المصدر نفسه .

١٣ المزهر : ١ / ٣٨٥ .

١٤ ينظر : المصدر نفسه

١٥ ينظر : في اللهجات العربية : ١٦٨ – ١٧٠ ، وفقه اللغة ، وفي : ١٤٧ – ١٤٨ ، وفصول في فقه العربية : ٣٢٧ – ٣٣٣ ، والوجيز في علم الدلالة : ١٠٢ – ١٠٤ ، والمشترك اللفظي في اللغة العربية : ١٥٣ ، وما بعدها ، علم الدلالة (النظرية والتطبيق) ، فوزي عيسى : ٢٦٣ – ٢٦٥ ، وغيرها .

١٦ المخصص : ١٣ / ٢٥٩ ، وينظر : دراسات في فقه اللغة ، صبحي الصالح : ٣٠٣ – ٣٠٤ .

١٧ المزهر : ١ / ٧٣ .

١٨ ينظر : في اللهجات العربية : ١٦٨ ، وفقه اللغة وخصائص العربية ، محمد مبارك : ٢٢١ ، اللغة العربية معناها ومبناها : ٣٢٠ .

١٩ ينظر : المخصص : ١٣ / ٢٥٩ .

٢٠ المزهر : ١ / ٣٨١ .

٢١ ينظر : المعرب ، للجواليقي : ١٦٨

٢٢ ينظر : المنجد في اللغة : ٤٠ .

٢٣ ينظر : لسان العرب ، (حنك) : ١٢ / ٢٩٨ .

٢٤ نهج البلاغة ، الخطبة : ١٥٧ / ص : ٢٩٥ .

٢٥ بهج الصباغة : ١٢ / ١٣٠ .

٢٦ ينظر : الأجناس : ٨ ، والمجمل في اللغة : ١ / ٦٤٠ – ٦٤١ ، والمزهر : ١ / ٣٧٢ – ٣٧٥ .

٢٧ نهج البلاغة ، الكتاب : ٣٤ / ص : ٥٤١ – ٥٤٢ .

٢٨ الصحاح ، (وجد) : ٢ / ٥٤٧ .

٢٩ بهج الصباغة : ٧ / ٤٣٨ .

٣٠ فقه اللغة ، للثعالبي : ٢ / ٦٤٢ .

٣١ تصحيح الفصيح : ١٨٨ ، وينظر : المزهر : ١ / ٣٨٤ .

٣٢ نهج البلاغة ، الحكمة : ٣١٣ / ص : ٦٩٧ .

٣٣ بهج الصباغة : ٥ / ٣٣٧ .

٣٤ نهج البلاغة ، الخطبة : ١٨٩ / ص : ٣٧٤ .

٣٥ بهج الصباغة : ٣ / ٢٩٨ .

٣٦ نهج البلاغة ، الحكمة : ١٣٧ / ص : ٦٥٩ .

٣٧ بهج الصباغة : ٢ / ٣٩١ .

٣٨ المصدر نفسه : ٢ / ٣٩ .

٣٩ المصدر نفسه : ٢ / ٣٩٥ .

٤٠ نهج البلاغة ، الخطبة : ٨٢ / ص : ١٤٥ .

٤١ بهج الصباغة : ١١ / ١٣٥ ، وينظر ابن أبي الحديد : ٦ / ٢٧٧ ، وشرح ابن ميثم : ٢ / ٢٧٨ ، وشرح الخوئي : ٦ / ٥٧ .

٤٢ بهج الصباغة : ١١ / ١٣٥.

٤٣ ينظر : دلالة الألفاظ : ١٦٦ ، وفقه اللغة ، محمد المبارك : ٢٠٠ ، وفصول في فقه العربية : ٣٠٩ .

٤٤ المزهر : ١ / ٤٠٢ ، ونهاية السؤول في شرح منهاج الأصول : ٢ / ١٠٤ ، وإرشاد الفصول : ١ / ١٢٣ .

٤٥ المزهر : ١ / ٤٠٢ .

٤٦ ينظر : الترادف في اللغة : ٣١ .

٤٧ الكتاب : ١ / ٢٤ .

٤٨ الفروق في اللغة : ١٦ ، وينظر علم الدلالة ، أحمد مختار : ٢١٦ .

(٦)

٤٩ المزهر : ١ / ٤٠٤ ، وينظر : علم الدلالة ، أحمد مختار : ٢١٦ .

٥٠ ينظر : في اللهجات العربية : ١٥٣ – ١٥٤ ، وعلم الدلالة ، أحمد مختار : ٢١٦ – ٢١٧ .

٥١ ينظر : الأضداد : ٦٩ .

٥٢ ينظر : المزهر : ١ / ٤٠٥ – ٤١٣ ، والترادف في اللغة : ٣٣ – ٤٥ .

٥٣ ينظر : في اللهجات العربية : ١٥١ – ١٥٢ ، وعلم الدلالة ، أحمد مختار : ٢١٧ – ٢١٨ .

٥٤ الترادف في اللغة : ١٩٨ ، وينظر : الفروق في اللغة : ١٣ – ١٥ .

٥٥ الأضداد ، أبن الانباري : ٧ ، وينظر : المزهر : ١ / ٣٩٩ – ٤٠٠ .

٥٦ ينظر : في اللهجات العربية : ١٥٧ – ١٥٩ ، وفصول في فقه العربية : ٣١٦ – ٣٢٢ .

٥٧ ينظر : في اللهجات العربية : ١٥٧ – ١٥٩ ، وفصول في فقه العربية : ٣١٦ – ٣٢٢ ، مدخل إلى فقه اللغة العربية : ٢٩٨ – ٢٩٩ ، علم الدلالة والنظريات الدلالية الحديثة : ١٦٥ – ١٧١ ، وفصول في فقه اللغة العربية : ٧١ – ٧٢ .

٥٨ ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه : ٥٠ – ٥١ .

٥٩ ينظر : الصحاح (مسك) : ٤ / ١٦٠٨ .

٦٠ ينظر : المزهر : ١ / ٢٨٣ .

٦١ في اللهجات العربية : ١٥٤ ، وينظر : فصول في فقه العربية : ٣٢٢ ، ومدخل إلى فقه اللغة العربية : ٢٩٧ – ٢٩٨ ، الترادف في اللغة : ٢٥٨ .

٦٢ نهج البلاغة ، الخطبة : ١ / ص : ٤٥ .

٦٣ الصحاح (حمد) : ٢ / ٤٦٦ .

٦٤ المصباح المنير (مدح) : ٢١٦ .

٦٥ بهج الصباغة : ١ / ١٩٠ .

٦٦ الفروق في اللغة : ٤١ – ٤٢ ، وينظر : المفردات في غريب القرآن : ١ / ١٧٢ .

٦٧ ينظر : تفسير مفاتيح الغيب : ١ / ٢٢٤ ، ولمسات بيانية : ١٢ .

٦٨ مفاتيح الغيب : ١ / ٢٢٣ .

٦٩ ينظر : لمسات بيانية : ١١

٧٠ ينظر : تفسير روح المعاني : ١ / ٧٠ ، والمصدر السابق : ١٢ .

٧١ نهج البلاغة ، الخطبة : ٦٢ / ص : ١١٨ .

٧٢ لسان العرب (ظل) : ١٣ / ٤٤١ .

٧٣ بهج الصباغة : ١٢ / ٨ .

٧٤ نهج البلاغة ، الخطبة : ١٤٢ / ص : ٢٦٤ .

٧٥ شرح ابن أبي الحديد : ٩ / ٣٤٥ .

٧٦ الصحاح (عنا) : ٦ / ٢٤٤٠ .

٧٧ جمهرة اللغة (عنو) : ٣ / ١٤٤ .

٧٨ بهج الصباغة : ٦ / ٣٧٤ .

٧٩ نهج البلاغة ، الخطبة : ٦٢ / ١١٨ .

٨٠ بهج الصباغة : ١ / ٤٢٢ .

٨١ نهج البلاغة ، الخطبة : ١ / ٤٦ ، ٤٩ .

٨٢ بهج الصباغة : ٦ / ٣٧٤ .

٨٣ الصحاح (جبل) : ٤ / ١٦٥٠ .

٨٤ بهج الصباغة : ١ / ٤٧٧ .

٨٥ لقد كان هذا الاحتكاك منذ الجاهلية ، ينظر : فقه اللغة ، وافي : ١٥٣ ، ودراسات في فقه العربية ، صبحي الصالح : ٣١٥ – ٣١٦ ، وفصول في فقه العربية ، رمضان عبد التواب : ٣٥٨ – ٣٥٩ .

٨٦ علم اللغة : وافي : ٢٥٣ .

٨٧ ينظر : دراسات في فقه اللغة ، صبحي الصالح : ٣١٥ .

٨٨ ينظر : مدخل إلى فقه اللغة العربية : ٢٢٧ .

٨٩ الصحاح ، (عرب) : ١ / ١٧٩ .

٩٠ المزهر : ١ / ٢٦٨ .

٩١ الاشتقاق والتعريب : ٢٦ .

٩٢ ينظر : فصول في فقه العربية : ٣٥٩ ، والأضداد في اللغة : ٣٧ .

٩٣ ينظر المزهر : ١ / ٢٧٠ ، والمعرب ، للجواليقي : ٥٩ – ٦٠ .

٩٤ ينظر : سر صناعة الإعراب : ١ / ٦٤ – ٦٥ .

٩٥ ينظر : المعرب للجواليقي : ٥٤ ، وما بعدها ، شفاء الغليل : ٥ ، والمزهر : ١ / ٢٧٣ ، وفصول في فقه العربية : ٣٦٤ .

٩٦ ينظر : المعرب ، للجواليقي : ٥٦ ، وشفاء الغليل : ٥ وما بعدها ، التقريب لأصول التعريب : ٤ .

٩٧ ينظر : المعرب ، للجواليقي : ٥٦ ،: شفاء الغليل : ٥ وما بعدها ، التقريب لأصول التعريب : ٤.

٩٨ ينظر : الأضداد في اللغة : ٣٨ .

٩٩ العين (عمص) : ١ / ٣١٥ .

١٠٠ نهج البلاغة ، الخطبة : ١٦٥ / ص : ٣١٥ .

١٠١ بهج الصباغة : ٧ / ٥٨ .

١٠٢ نهج البلاغة ، الحكمة : ٣٣ / ص :٦٣١ – ٦٣٢ .

١٠٣ الصحاح (دهق) : ٥ / ٢١١٧ .

١٠٤ بهج الصباغة : ٦ / ٢١٥ .

١٠٥ المصدر نفسه ، الهامش .

١٠٦ نهج البلاغة ، الخطبة : ١٩٢ / ص : ٣٨٨ .

١٠٧ المصباح المنير (ترجم) : ٢٩ .

١٠٨ الصحاح (رجم) : ٤ / ١٩٢٨ .

١٠٩ بهج الصباغة : ١٤ / ٢٧٠ .

١١٠ المصدر نفسه .

١١١ نهج البلاغة ، غريب كلامه (ع) : ٦ / ص : ٦٨١ .

١١٢ المصدر نفسه ، الهامش .

١١٣ نهج البلاغة ، الخطبة : ١٩٢ / ص : ٣٨٨ .

١١٤ المصباح المنير (ترجم) : ٢٩ .

١١٥ معجم البلدان : ٤ / ٩٣ – ٩٤ .

١١٦ بهج الصباغة : ٦ / ١٨١ .

١١٧ نهج البلاغة ، الخطبة : ١٠٧ / ص : ٢٠٦ .

١١٨ الصحاح (رهم) : ٥ / ١٩٣٩ .

١١٩ جمهرة اللغة (رمه) : ٢ / ٤١٧ .

١٢٠ بهج الصباغة : ٦ / ١٢١ .